

مطرانية الروم الأرثوذكس في بيروت

Orthodox Archdiocese of Beirut

الرسالة

(عبرانيين ٤: ١٤-١٦)
(١:٥-٦)

يا إخوة، اذ لنا رئيسُ كهنةٍ عظيمٌ قد اجتازَ السمواتِ، يسوعُ ابنُ اللهِ، فلنتمسكُ بالإعترافِ* لأنَّ ليسَ لنا رئيسُ كهنةٍ غيرَ قادرٍ ان يرثيَ لأوهاننا بل مُجربٌ في كلِّ شيءٍ مثلنا ما خلا الخطيئةَ* فلنقبلُ اذا بثقةٍ إلى عرشِ النعمةِ لننالَ رحمةً ونجدَ ثقةً للإغاثةِ في أوانها* فإنَّ كلَّ رئيسٍ كهنةٍ متخذٌ منَ الناسِ يُقامُ لأجلِ الناسِ فيما هو لله ليُقرَّبَ تقاريمَ وذبائحَ عن الخطايا في إمكانه ان يشفقَ على الذين يجهلون ويضلون لكونه هو أيضاً متلبساً بالضعفِ* ولهذا يجبُ عليه أن يقربَ عن الخطايا لأجلِ نفسه كما يقربُ لأجلِ الشعبِ* وليسَ أحدٌ يأخذُ لنفسه الكرامةَ بل من دعاةِ اللهِ كما دعا هرون* كذلكَ المسيحُ لم يمجِّدَ نفسه

القديس يوسف ناظم التسابيح

الإنسان كائن مسبِّح. إنه مفطور على تسبيح خالقه. والتسبيح هو اللغة التي يخاطب الإنسان الله. ينبع التسبيح من قلب الإنسان نتيجة ما زرعه الله فيه. الإنسان مخلوق على صورة الله ومثاله. والله نفسه يساعدنا على تسبيحه بواسطة روحه القدس: «وكذلك الروح أيضاً يُعينُ ضعفاتنا. لأننا لسنا نعلم ما نصلي لأجله كما ينبغي ولكنَّ الروحُ نفسه يشفعُ فينا بأناث لا يُنطقُ بها» (رو ٨: ٢٦).

لم نعد نعلم ما نصلي لأجله كما ينبغي بسبب سقوطنا في

الخطيئة، في خطيئة الابتعاد عن الله. وأصبحنا ننسى شيئاً فشيئاً لغة الحوار مع الله. لذلك، وبسبب رحمته، يسكب الله علينا روحه ليعيننا.

التسبيح إذا هو صلاة القلب عندما يسكن الله فيه، وقد أعطى الله بعض الناس موهبة ترجمة هذه الصلاة القلبية إلى كلمات وتعابير يمكن لجماعة المؤمنين الذين يلتقون باسم الرب أن يستخدموها ويتبنوها كأنها كلماتهم لتسبيح الله. هكذا يمكننا أن نتعلم من جديد، شيئاً فشيئاً، لغة الحوار تلك التي نسيناها

بسبب بعدنا عن الله.

من هؤلاء الناس الذين منحهم الله هذه الموهبة القديس يوسف ناظم التسابيح الذي تعيّد له الكنيسة المقدّسة في الثالث من شهر نيسان.

وُلد القديس يوسف في جزيرة صقلية حوالي سنة ٨١٦. ومنذ فتوته انكبَّ على قراءة الكتاب المقدس والتأمل فيه. كان في الخامسة عشرة من عمره عندما اضطر وذويه إلى الفرار إلى بلاد اليونان بعد أن سقطت صقلية في أيدي

العرب المسلمين، فاستقروا في تسالونيك في شمال اليونان. هناك ترهب في دير لاتموس وعاش في طاعة كاملة لأبيه الروحي. سلك في نسك شديد،

فكان ينام على الأرض ولا يغتذي سوى بالخبز اليابس والماء ويكتفي من اللباس بأحقره، وكان يمضي أكثر لياليه في السجود والترنيم والصلاة. عمل في الدير على نسخ المخطوطات وقد ساهم في جعل دير مركزاً للخط مرموقاً.

بعد أن سيم كاهناً انتقل، بإيعاز من أبيه الروحي، بمعية القديس غريغوريوس الديكابوليتي إلى القسطنطينية حيث استقر في كنيسة القديس أنتيباس. في ذلك الوقت شنت حملة عنيفة على المدافعين عن

العدد ٢٠٠٥/١٤
الأحد ٣ نيسان
الأحد الثالث من الصوم
أحد الصليب الكريم
تذكار البارين نيقيطا رئيس دير
ميذكيون ويوسف ناظم التسابيح
اللحن الثالث
إنجيل السحر الحادي عشر

ليصيرَ رئيسَ كهنةٍ بلِ الذي قالَ له أنتَ ابني وأنا اليومَ ولدتك. كما يقولُ في موضعٍ آخرَ أنتَ كاهنٌ إلى الأبدِ على رتبةٍ ملكيصادق.

الإنجيل

(مرقس ٨: ٣٤-٣٨؛

١: ٩)

قال الربُّ من أراد أن يتبعني فليكفرُ بنفسه ويحملِ صليبهُ ويتبعني لأنَّ مَنْ أراد أن يخلصَ نفسه يهلكها ومن أهلك نفسه من أجلي ومن أجل الإنجيل يخلصها فإنه ماذا ينتفعُ الإنسان لو ربحَ العالمَ كُلَّهُ وخسرَ نفسه* أم ماذا يعطي الإنسان فداءً عن نفسه* لأنَّ مَنْ يستحي بي وبكلامي في هذا الجيل الفاسقِ الخاطئِ يستحي به ابنُ البشر متى أتى في مجدٍ أبيه مع الملائكة القديسين* وقال لهم الحقُّ أقول لكم إنَّ قومًا من القائمين ههنا لا يدقون الموت حتى يروا ملكوتَ الله قد أتى بقوةٍ.

تأمل

أنا أدعوكم إلى الخيرات لا إلى السيئات والمنكرات، ولا إلى الهلاك والعقاب. لذلك لا ألزمكم. في الواقع

الأيقونات المقدسة، فأوفد إلى روما في مهمة لدى البابا غريغوريوس الرابع بقصد إطلاعه على الوضع وكسب تأييده للإيمان القويم. إلا أن قرصنة أسروه وهو في طريقه إلى إيطاليا وسجنوه في جزيرة كريت. هناك سلم أمره كليا لله، وكان عزاءً وعوناً للأسرى الذين وجد نفسه بينهم.

ليلة الميلاد ظهر له القديس نيقولاوس وأنبأه أنه بعد وفاة الإمبراطور ثيوفيلس، سوف يطلق سراحه وأن عليه أن يعود إلى القسطنطينية للعمل على تثبيت الإيمان القويم فيها. فعاد القديس يوسف إلى القسطنطينية. وبعد أن أقام مدة من الزمن في كنيسة القديس يوحنا الذهبي الفم تحلق حوله العديديون حتى ضاق بهم المكان، فقرّر أن يؤسس ديراً في موضع قاحل غير بعيد عن كنيسة القديس يوحنا.

بنى كنيسة على اسم القديس برثلماوس، وإذ رغب في إكرامه بتساييح لائقة صلى وصام أربعين يوماً. وفي عشية العيد تراءى له القديس برثلماوس الذي أخذ الإنجيل الموضوع على المائدة المقدسة ووضع على صدر يوسف وباركه. إثر ذلك أخذ يتدفق من قلبه، بإلهام الروح القدس، نبع فياض من التساييح لفرح الكنيسة وبنيانها. هكذا تسنى له أن يكمل عمل المرمنين الذين سبقوه. فبعد أن وضع القديس يوحنا الدمشقي كتاب الألحان الثمانية لأيام الآحاد، أكمله القديس يوسف بتأليف تساييح وقوانين لبقية أيام الأسبوع، وجمعها كلها في كتاب واحد سماه «كتاب الألحان الثمانية الكبير» الذي هو كتاب «المعزي». بالإضافة إلى ذلك وضع تساييح وقوانين إكراما لعدد كبير من القديسين.

كان للقديس يوسف تقدير كبير لدى القديس فوتيوس الكبير الذي

دعاه «أب الآباء، المعادل للملائكة ورجل الله». وقد جعله مستشاراً له في إدارة شؤون الكنيسة ومعرفاً للأساقفة.

وبعدما زين القديس يوسف الكنيسة بفضائله وأكرم قديسيها بأناشيده، اعتزل في ديره ووقد في الرب في ٣ نيسان سنة ٨٨٦.

الصلاة الربانية

ذكرنا سابقاً ان لفظة «أباً» المستعملة في صلاة «أبانا الذي في السموات» هي التي يستعملها الأطفال في مناداة آبائهم. هذه الدعوة للعودة إلى الروح الطفولية نجدها أيضاً في تعليم الرب لتلاميذه: «الحق أقول لكم إن لم ترجعوا وتصيروا مثل الأولاد فلن تدخلوا ملكوت السموات» (متى ١٨: ٣). الرب يسوع هو الذي فتح أبواب الملكوت التي أغلقت منذ القديم، وأعادنا أبناءً للملكوت المفقود عبر ذبيحة الصليب حين قدّم نفسه فداءً عن البشر. لذا وكما نقدم قرابيننا على مذبح الله بيسوع المسيح، فنحن كلما صلينا «أبانا الذي في السموات» نصليها بيسوع وعبره لكي تكون مقبولة لدى الله. نقف أمام الله بثقة الطفل ونرفع له صلواتنا من خلال ابنه الوحيد ليستجيب لنا.

القديس كيرلس الإسكندري يشدّد على أنه يجب أن نكون مستحقين لتلاوة هذه الصلاة ودعوة الله أبانا، «أباً»، ذلك لأننا نعترب ببنتونا له في هذه الصلاة. على الإنسان أن يجاهد الجهاد الحسن لتحقيق المثال الإلهي في القداسة والصلاح ليصلي أبانا. قبل أن يعلم الرب يسوع تلاميذه الصلاة الربانية قال لهم: «لا تقاوموا الشرَّ، بل من لطمك على خدك الأيمن فحوّل له الآخر أيضاً... من سألك فأعطه، ومن أراد أن يقترض منك فلا تردّه... أحبوا أعداءكم. باركوا لاعنيكم.

إن طبيعة الأمر بحد ذاتها جديدة بأن تجذبكم إليه. من هنا فإن التكلم هكذا بحرية يجذبكم أكثر. الذي يستخدم القوة ينفر الآخر في كثير من الأحيان، بينما الذي يترك السامع حتى يقتنع ليتصرف من تلقاء ذاته فجازبيته أكبر. الاعتناء بالآخر يفعل فيه أكثر من القوة. لذلك قال السرب «إن أراد أحد». الخيرات المعروضة عليكم كبيرة إلى حد أنها قادرة بحد ذاتها على أن تجذبكم بإرادتكم الخاصة. في الواقع لا يستطيع أحد أن يجذب الآخر بالقوة حتى ولو وضع أمامه الكنوز والذهب. فإن لم يستطع جذبه بالقوة إلى هذه الخيرات الأرضية فبالأحرى لا يستطيع أن يلزمه بالخيرات السماوية. إن كانت طبيعة الأمر غير قادرة على جذبك لن تستحق العطية، وإن أعطيتها لن تعرف جيداً ماذا أخذت. لذلك يحترم المسيح حريتنا ولا يلزمنا بل يحثنا. يبدو أن التلاميذ كانوا يتحدثون فيما بينهم عن آلامه ويقلقون منها، لذلك يقول لهم إن الأمر لا يستحق القلق والاضطراب.

أحسنوا إلى مبغضيك وصلوا لأجل الذين سيئون إليكم ويطردونكم، لكي تكونوا أبناء أبائكم الذي في السموات... فكونوا أنتم كاملين كما أن أبائكم الذي في السموات هو كامل» (متى ٣٩:٥-٤٨).

إذا لكي نكون مستحقين أن ندعو الله أبائنا أن نسعى أن نكون على مثاله. القديس غريغوريوس النيصي يقول إن دعوتنا لله الصالح والعدل أباً تعني أن نبرهن في حياتنا على أن هذه القرابة حقيقية، وإلا كيف يجروا الإنسان الفاسد، المظلم بالخطيئة، الظالم والشرير، أن يدعو الله القدوس النور العادل والصالح أباً؟ الإنسان الشرير لا يدعو الله أباً بل يدعو إبليس الكذاب أباً له، لأنه لا شركة للنور مع الظلمة (٢كور ٦:٤).

في كل مرة نصلي «أبانا الذي في السموات» علينا أن نفحص ذواتنا إن كنا مستحقين أن ننادي الله أبائنا، وإلا فإننا نهين الله بدعوتنا أباً للشر والخطيئة والظلام. علينا أن نبرهن أن جسدنا هو فعلاً «هيكل للروح القدس» و«هيكل الله الحي» (٢كور ٦:١٦)، وعندها ينطبق علينا قوله الإلهي «وأكون لكم أباً وأنتم تكونون لي بنيين وبنات يقول الرب القادر على كل شيء» (٢كور ٦:١٨).

هذه الصورة عن استحقاقنا أن ننادي الله أبائنا تجد أفضل تعبير لها في القديس الإلهي حين يصل إلى ذروته قبل المناولة المقدسة، إذ يعلن الكاهن: «وأهلنا أيها السيد أن نجسر بدالة أن ندعوك أباً غير مدانين أيها الإله السماوي ونقول: أبانا الذي في السموات...».

بعد أن أمضينا زمناً في الكنيسة وصلينا صلاة السحر وبلغنا نهاية القديس الإلهي نطلب إلى الله أن يغفر جسارتنا ويسمح لنا برحمته أن ندعوه أباً، لأنه ليس أحد مستحقاً أن يدعى أبنا لله بسبب خطاياها الكثيرة. لحظات تفصلنا عن الاتحاد بابن الله

عبر الإشتراك بجسده ودمه الكريمين، أي الاتحاد به، لذا فنحن بحاجة أن نهى أنفسنا لتكون نحن وإياه واحداً وبالتالي لأن نصير عبره أبناء لله.

المهم إذاً أن نكون أبناء أبينا «الذي في السموات». عبارة «الذي في السموات» التي ترد أيضاً في الصلاة الربانية تذكرنا بأن موطننا الأساسي هو الموطن السماوي الذي تغربنا عنه. إنه الموطن الأبوي الجميل الذي تركه الإبن الضال ليعيش في الخلاعة. لكن الله الأب لم يتركه بل عمل كل شيء لإعادته إلى بيته الأصلي، ولما تاب وعاد لم يعده كأحد الأجراء بل ابناً فألبسه الرداء الجديد ووضع الخاتم في يده وذبح له العجل المسمن. هكذا نحن علينا أن نتوب لكي نستحق أن يستقبلنا الله في أحضانه كأب. وبالتالي علينا أن نتصرف كأبناء للسماء، كأبناء للملكوت وبحسب نظام هذا الملكوت.

وقفة تحت الصليب

رفع يسوع نظره نحو السماء - قبل آلامه - وقال: «أيها الأب قد أتت الساعة» (يو ١٧:١). لقد كان يسوع ينتظر اللحظة التي عينها أبوه، وها قد أتت الآن. إن إتمام المشيئة الإلهية يستلزم قبولاً لها في الوقت المحدد، بحيث ينتفي كل تباطؤ أو تسرع.

لقد حدث مرتين - حين ذكر يسوع اسمه للجنود - أن سقطوا على وجوههم إلى الأرض (يو ١٨:٥)، وهذا يعني أن يسوع أقوى منهم وأنه أسلم نفسه طوعاً واختياراً.

لم نعد نسمع من يسوع كلمات توبيخ للكتابة والفريسيين: «أولاد الأفاعي» (متى ٢٣:٢٣). فلا مكان لها أثناء آلام المخلص، وبقدر ما تزداد آلام يسوع بقدر ما يثبت أكثر أنه شفق ورحيم.

يا سيد، أنت لم تحب الناس أثناء آلامك بدرجة أقل من محبتك لهم قبلها، ورغم أنك تكره خطيئتي إلا

إن لم تعتبروا الآلام مصدراً لخيرات لا تُحصى وبمثابة حدث يؤول إلى فائدتكم لن أضطرركم على ذلك ولن ألزمكم به. ولكن إن أراد أحد أن يأتي ورائي فهذا سوف أدعوه. ولا تعتقدوا أن ما تفعلونه الآن هو ما أقصد باتباعي. لا بد لكم أن تصبروا على مشقات وأخطار كثيرة إن أردتم أن تتبعوني. لذلك لا تنتظر يا بطرس الأكاليل بمجرد اعترافك بي كابن الله وتعتقد ان ذلك كافٍ لخلصك وتستريح بمجرد التفكير بأنك فعلت كل شيء. طبعاً أنا أستطيع كابن الله ألا أدعك تواجه المصاعب، ولكن لا أريد ذلك من أجل خيرك. لا بد لك أن تشاركني آلامي فتستحق التكريم الأكبر كما هي حال منظم السباق. إن كان لديه صديق يشترك في هذا السباق لن يكمله فقط من أجل صداقته بل أيضاً من أجل تعبه. يفعل ذلك لأنه يحبه. هكذا يتصرف المسيح أيضاً مع أحبائه. يريد أن يتقدموا من تلقاء أنفسهم وليس فقط أن يتكلموا على مساعدته إياهم.

القديس يوحنا الذهبي الفم

أنك أثناء ممارستي لها تحبني باهتمام أكثر. يقول الكتاب ان يسوع في آلامه «بدأ يحزن ويكتئب» (متى ٢٦: ٣٧). فلقد اختبر كل ما تتعرض له طبيعتنا البشرية من هزات وهجمات، ولكن لاهوته بقي في سلام كامل. إلهي، نفسي حزينة حتى الموت (متى ٢٦: ٣٨). التعليم القويم عن المسيح ان لاهوته وناسوته متحدان بلا انفصال، ونحن نرى في ضوء هذا التعليم الصفات الإلهية والإنسانية مجتمعة في يسوع: «نفسى حزينة حتى الموت» ولكن «ليس لأحد حب أعظم من هذا، أن يضع أحد نفسه عن أحبائه» (لو ١٥: ٣). هذه الكلمات تحتوي أعماق شرح لآلام المخلص. فأعظم حب هو أقصى حب ممكن لأنه يتطلب عطاء النفس إلى الموت. لذلك فالجلجثة ليست من متطلبات العدل بل من متطلبات الحب. يا سيد هاءنذا أقف تحت صليبك مع مريم أمك ومع التلميذ الذي كنت تحبه، ومع النسوة اللواتي بقين على إخلاصهن لك (يو ١٩: ٢٥) وإذ أتشجع الآن أنظر إليك وأتفرس في ذبيحتك فأتعلم ما لم أكتسبه من كلمات الإنجيل: قدماك سمرت إلى الخشب، وصليبك هو المعصرة التي تعصر فيها الكرمة الحقيقية، أراك تنتظرني هناك على موعد لقاء حددته لي. وإن سمرت بالصليب ربطت نفسك بهذا الإنتظار. ومهما حدث من جهتي من تأخر في المقابلة فإنك باق هناك في الموضع الذي اخترته لنفسك. ذراعك مبسوطتان مفتوحتان دعوة لكل الناس وعناقاً للمسكونة بأسرها. الدعوة وعناق المحبة تناديان كلاً بمفرده: «تعال».

رأسك منكس، فلقد خفضته في هدوء إذ قبلت المشيئة الأبوية. إنها مشيئتك أنت بقدر ما هي مشيئة الأب والروح، وهذه الإنحناء علامة طاعة لما تطلبه محبة الثالوث: العطاء

الكامل والتام، الانسكاب في الآخر لكي يحيا هو على رجاء. إنك تنحني نحو من هم عند أقدام الصليب: أولئك الذين أحبوك وأولئك أيضاً الذين صاحوا في وجهك: «اصلبه» (يو ١٩: ١٥)، وأيضاً نحو من ينتظرون في أنين متصل ومن يبحثون عنك وهم لا يعرفونك.

عينناك مغلقتان وفي كيانك الداخلي ترى الأب والناس في القلب وتحملهما معاً في مصالحة أبدية. يا يسوع، لا أستطيع أن أتكلم أمام صليبك أكثر مما تكلمت ولا أن أفكر أكثر مما فكرت. فيها أيها المصلوب المضيء حياً ومجداً وبهاء أدخل صورتك إلى أعماق قلبي وسمرت نفسك بجسدي، سمرها بروحي. أعطني أن أحملك معي إلى الأبد محتضناً إياك بكل قوتي.

أنا لك يا سيد، وبجملتي بين يديك. كن ختماً لقلبي.

إذا ما قرأت الصحف اليومية أراك تُصلب في كل مكان وزمان في آلام البشرية. تحت صليبك أفكر بجلجثة العصر الحديث، باتساعها وبشموليتها: أخبار حروب ومجاعات وظلم وعنف واستبداد وتشرد، إكليل شوك ما زال يدمي رأسك. الناس ما زالوا يضعون خطاياهم بأيديهم على رأسك ولكني أرى حول رأسك نور القيامة وأسمع في أذني كلماتك: «ها أنا أصنع كل شيء جديداً ... هذه الأقوال صادقة وأمينة ... قد تم ... أنا هو الألف والياء، البداية والنهاية. أنا أعطي العطشان من ينبوع ماء الحياة مجاناً. إن من يغلب يرث كل شيء وأكون له إلهاً وهو يكون لي ابناً» (رؤيا ٢١: ٥-٧).

الأب ليف جيليه

بالامكان الإطلاع على الفشرة
أسبوعياً على صفحة الإنترنت:
www.quartos.org.lb